الفصل الأول

# المعلم وحفظ النظام

## مقدمة :

يعتبر حفظ النظام من الأمور التي يتعامل معها المعلم باستمرار . وعندما يلتقي المعلم في الفصل مع تلاميذ جدد لأول مرة تكون مسألة حفظ النظام أهم ما يشغل باله . هل سيقبلون سلطته وقيادته ؟ هل سيستطيع أن يحملهم علي العمل بنشاط ؟ إن كثيرا من المعلمين يقلقهم ذلك في البداية ، وكثير من المعلمين ذوي الخبرة يعتبرون أن الدروس الأولي مع التلاميذ الجدد تكون حاسمة في تحديد علاقتهم بهم . ومن المفيد للمعلم أن يكون علي معرفة بأن تحقيق النظام في أي مجموعة يتضمن تقبل الأعضاء لأهداف معينة مشتركة يتعاونون علي تحقيقها من خلال حفظ النظام . ويحتاج المعلم بالإضافة إلي ذلك أن يعمل علي إرساء قواعد السلوك التي تحدد بوضوح ما هو مقبول أو غير مقبول ، وما يريده المعلم وما يتوقعه من التلاميذ من ناحية النظام أو الانضباط أو العمل في الفصل . إن لدي التلاميذ معايير خاصة بهم أكتسبوها من مصادر مختلفة كالمنزل أو الأصدقاء أو المعلمين أو من المدرسة بصفة عامة . واذا كانت مجموعة التلاميذ في الفصل الدراسي قد تعايشت معا فترة من الزمن فإن بعض هذه المعايير تكون قد استقرت بينهم بالفعل كما تكون معايير السلوك قد استقرت بينهم أيضا ، ففي أحد الفصول علي سبيل المثال قد يكون من النمط السلوكي السائد بينهم الرغبة والحرص علي توجيه الأسئلة . وفي فصل آخر قد يكون العكس تماما وتكون السلبية وعدم الاستجابة هي النمط السائد بينهم . ومثل هذه الأنماط السلوكية للتلاميذ في الفصل اذا ما تكونت تميل إلى الاستقرار لما يترتب عليها من تحقيق الثبات والاتزان بين المجموعة . فكل تلميذ لديه توقع عن سلوك الآخرين وتوقع الآخرين لسلوكه . ومن ثم فعليه أن يكيف سلوكه تبعا لذلك . وقد تعمل المجموعة على فرض معاييرها بالقوة إذا خالفها أحد أعضائها . ومن مصلحة المعلم أن يعرف هذه المعايير حتى يعمل على الاستفادة منها . فإذا علم المعلم مثلا أن التلاميذ يجلسون في الفصل كيفما أرادوا يكون من العبث إذن أن

يصر على أن يجلس كل تلميذ في المكان الذي يحدده هو له . وإذا استطاع المعلم أن يوازن بين ما يجب أن يعمله وبين ما يتوقعه فإنه سيتفادي خلق المشكلات أو تعقيد الأمر في حين يكون الأمر نفسه تافها أو لا يستحق الوقوف عنه . وفي نفس الوقت ينبغي علي المعلم أن يعرف أين ومتي يقف بثبات ويصر علي رأيه .

وعندما يتولى المعلم أمر فصل جديد فإن التلاميذ يعرفون عن يقين أن له سلطة عليهم بحكم دوره . وأنه بدون شك سيستخدم هذه السلطة بتفهم . لكنهم لا يعرفون على وجه التحديد حدود هذه السلطة ولا كيف ولامتى سيستخدمها . من ثم يبدأ التلاميذ في اكتشاف الموقف بالتحرك بحرص لاختبار هذه الحدود واستيضاح الأمور التي يتقبلها المعلم واكتشاف الأمور الأخرى التي تساعدهم على التنبؤ بسلوكه . وهكذا يستطيع التلاميذ بالتدريج أن يتوسعوا في فهمهم وتوقعهم لسلوك المعلم حتي يصلوا من خلال ذلك إلي معرفة الفجوات التي قد ينفذون منها لتحقيق مآربهم .

ونحن إذا نظرنا إلي مشكلة النظام المدرسي من جانب المعلم نجد أنه قد أصبح له مزيد من السيطرة على التلاميذ . لأن التربية والتعليم أصبحتا بشكل متزايد مفتاحا لأحسن الوظائف والمهن والنفوذ الاجتماعي . إلا أن هذه السيطرة لا تعوض السلطة التي فقدها . ذلك أن من ينسبون إليه السيطرة هم التلاميذ الذين يرون فيه مصدرا للمعرفة والمهارات التي يرغبون في اكتسابها . وعلي المدرس في محافظته علي النظام أن يتعامل مع تلاميذه إلى حد يمكن أن يبعده عن الموقف التسلطي والاستبدادي . ويشجع المدرسون المحدثون عاة تلاميذهم على إطلاق دوافعهم بدلا من كبتها لأنهم يتعاملون معهم علي أساس من الحرية والتسامح . إلا أن ذلك قد يوقع المدرس في حيرة . إذ كيف يساعد الطفل على إطلاق دافعه ، وفي نفس الوقت يفرض عليه شيئا ما وكيف ينقل التراث الثقافي للمجتمع إذا لم يهتم به تلاميذه ولم يتقبلوه .

وتسمح وجهة النظر المحافظة بأن يكون الأطفال تحت سيطرة مدرسيهم الذين يحظون باحترامهم . فإذا توقف المدرس عن القيادة اضطرب الفصل واختل النظام . وإذا أصبح من ناحية أخرى أتوقراطيا فإن التلاميذ يتضايقون ويشعرون

بالإحباط . ويجب أن يتأكد المدرس من أن الضوابط المطبقة علي تلاميذه عادلة وإلا فلن يقبلوها ولن يتحقق النظام الذاتي . وبإيجاز نقول إن الأطفال لكي يضبطوا أنفسهم يحتاجون إلي قواعد وقيود تمكنهم من احترامها كما أنهم يحتاجون إلى مدرسين يترسمون خطاهم .

**حفظ النظام بين المدرسة السلوكية والمدرسة المعرفية :**

توجد في علم النفس مدرستان معروفتان في التفكير لكل منهما نظرتها الخاصة إلى عملية التعلم . هاتان المدرستان هما المدرسة السلوكية والمدرسة المعرفية . ومن المهم للمعلم أن يعرف شيئا عن هاتين المدرستين وأن يستفيد منها في أسلوب تعليمه في الفصل وضبطه للنظام فيه . ونحن إذا نظرنا إلى المدرسة التقليدية نجد أنها تتضمن أفكاراً رئيسية من أهمها ما يأتي :

١- يتعلق التعليم بالسلوك الذي يمكن أن نلاحظه ونعيشه أي ما يعرف في علم النفس بالأداء * Performance وهو يتعلق بما يفعلونه لا بما يشعرون به ويحسونه وهو السلوك الذي لا يمكن قياسه .

٢- السلوك يتعلم ، وهو نتيجة خبرات المتعلم . ومن هنا يمكن تعديل السلوك وتغييره باخضاعه لعملية تعليم واكتساب خبرات أخرى جديدة .

٣- التغير في السلوك تحكمه نتيجة أعمالنا . فنحن نكرر الأعمال التي نحبها ولا نكرر الأعمال التي نكرهها أو لا نحبها .

وبالنسبة للمعلم الذي يحاول تطبيق هذه المبادئ في الفصل وفي حفظ النظام ، فإنه سيركز علي سلوك التلميذ أي ما يقوله وما يفعله في الفصل لا على تفكيره وشعوره أو الأسباب التي أدت إلى سوء سلوكه . ونقطة البداية عنده هي تحديد السلوك المرغوب من التلميذ . يلي ذلك تحديد أساليب تعزيز السلوك

---

* يعرف الأداء في علم النفس بأنه كل ما يقاس من السلوك . ولذلك يعرف التعلم بأنه تغير في الأداء تحت شروط الممارسة . وقد أوقعت المدرسة السلوكية نفسها في حرج باتخاذها ل. . .. تعبير السلوك بدل الأداء ، والأصح أن نسميها بالأداتية بدلا من السلوكية .

المرغوب وأساليب تبسيط السلوك المرغوب ، وأساليب تبسيط السلوك غير المرغوب ، وأخيرا تطبيق هذه الأساليب حسب المواقف التي تطلبها . ومن المعروف إن أكثر الأساليب السلوكية المتاحة للمعلم هي الثواب والعقاب . فإذا أثيب التلميذ على سلوكه الحسن فإنه سيكرره نتيجة لما حدث له من تعزيز . والعكس صحيح بالنسبة للسلوك السيء . ويميل علماء النفس السلوكيون إلى الثواب لا العقاب في حفظ النظام في الفصل . لأن التجارب أثبتت أن الثواب أبقى أثرا من العقاب . كما أن السلوك السيء يعود ثانية بزوال الخوف من العقاب على طريقة « إن غاب القط العب يا فار » .

أما بالنسبة للمدرسة المعرفية فهي تمثل وجهة نظر مناقضة لوجهة نظر المدرسة السلوكية التي أشرنا إليها . فهذه المدرسة لا تتمشي مع المدرسة السلوكية في تركيزها على سلوك الفرد ما يفعله وما يقوله واهمال شعوره وأحاسيسه ودوافعه . وهي ترى أن هذه المشاعر والدوافع مهمة وتمثل لب سلوك الفرد . وتتهم المدرسة المعرفية المدرسة السلوكية بأنها ضيقة الأفق وأنها محدودة القيمة في فهم سلوك الإنسان وما يفعله . والمعلم الذي يطبق مبادئ المدرسة المعرفية ينظر إلى المواقف في الفصل من وجهة نظر التلميذ . فهو أي التلميذ حسب وجهة نظر علم النفس المعرفي يحاول أن يتعقل ويفهم العالم المحيط ، ويحاول التعامل معه بالأسلوب الذي يمكنه من البقاء وتحسين أحواله وظروفه . فإذا وجد التلميذ فيما يقدمه المعلم ما يساعده على النمو وما يمثل أهمية بالنسبة له فإنه عندئذ يقبل على العمل في الفصل . والعكس صحيح إذا وجد فيما يقدمه المعلم ما يبعث على الملل والسأم ولا يثير أي اهتمام لديه . ومن هنا يتضح لنا أن لب المدرسة المعرفية بالنسبة لعمل المدرس في الفصل يعتمد على كون هذا العمل ممتعا ومثيرا لإهتمام التلميذ . وعلى المدرس أن ينظر إلى عمله من وجهة نظر التلميذ واضعا في اعتباره سن التلميذ واهتماماته وخلفيته الأسرية وقدراته العامة ومهاراته المعرفية وغيرها . وفي ضو هذه الاعتبارات يحاول أن يعدل من أسلوب تدريسه بحيث يكون مثيرا لاهتمام المتعلم .

هناك نقطة أخري مستفادة من المدرسة المعرفية تتعلق بأهمية مفهوم

التلميذ عن ذاته لا سيما ما يتعلق بتحصيله الأكاديمي ، وكيف يرى نفسه كمتعلم . لأن التلميذ حسب المدرسة المعرفية يسلك في الدراسة حسب فكرته عن ذاته . فإذا كان لديه مفهوم إيجابي عن نفسه ، وأنه قادر علي الدرس والتحصيل ، فإنه سيبذل من قوته وطاقته ما يحقق الهدف الذي وضعه لنفسه . وهذا بالتالي يصرفه عن إساءة سلوكه في الفصل . لأن تركيز اهتمامه منصب على التعليم . ولكن للأسف ليس كل التلاميذ من ذوي الاتجاهات الأكاديمية الإيجابية فكثير منهم تكون فكرتهم عن أنفسهم من الناحية الأكاديمية أو التعليمية سلبية . وما يتوقعون لأنفسهم هو الفشل ومواجهة الصعوبات . ومثل هذا التوقع يولد لديهم إحساسا بالقلق وشعوراً بالحزن . ومن الطبيعي أن يحاول مثل هؤلاء التلاميذ التغلب على هذه المشاعر بطرق أخرى جانبية منها عدم أداء واجباتهم التعليمية مبررين ذلك بشتى الأعذار . وقد يتظاهرون بأنهم يؤدون هذه الواجبات أو قد يؤدونها بمستوى ضعيف يتلاءم مع فكرتهم المتدنية عن أنفسهم . وهم لا يلومون أنفسهم على ذلك وإنما يلومون المعلم والمدرسة ، بل ومجتمع الكبار بصفة عامة . ويبررون ذلك لأنفسهم بأن المعلم ممل وغير كفء في عمله ، وأن المدرسة والتعليم مضيعة للوقت . ومن السهل أن نتوقع أن تكون المحصلة النهائية لذلك هي إساءة سلوكهم في الفصل تعبيرا عما يجتاح نفوسهم من إحباط . وقد يصل سوء سلوكهم إلي درجة تقلق المعلم . فماذا يستطيع المعلم أن يفعل للتغلب على هذه المشكلة ؟ .

يستطيع المعلم في ضوء فهمه لجذور المشكلة التي تتمثل في تدني نظرة هؤلاء التلاميذ إلى أنفسهم ، أن يعمل على مساعدتهم على تحسين هذه النظرة إلى أنفسهم كأفراد وتلاميذ . ومن الوسائل التي يتبعها في عمل ذلك رفع روحهم المعنوية بتوجيه الثناء والمديح إليهم وإنتهاز فرصة أي محاولة تعليمية ناجحة منهم مهما كانت صغيرة لتوجيه هذا الثناء علنا أمام تلاميذ الفصل مبينا لهم الجانب الإيجابي فيها . ويمكنه أن يشجعهم باعطائهم واجبات تعليمية مناسبة لهم في البداية حتي يتيح لنفسه فرصة التعبير عن ثقته في قدرتهم وأن يشعرهم بأن عملهم مع قليل من الجهد يبشر بمستقبل ناجح . كما يستطيع أن يوجه إليهم الأسئلة السهلة للإجابة عليها أمام باقي التلاميذ . ولا ضرر من بعض المساعدة

من جانب المعلم . ويتوقف نجاح هذا الأسلوب على حسن معاملة التلاميذ بطريقة ودية حانية .

**الحرية والنظام والقواعد :**

تعتبر كلمة « الحرية » من أكثر الكلمات التي يساء فهمها واستخدامها . فكثير من الناس يفهمون الحرية علي أنها التحرر من القيود ، أو ممارسة الفرد للسلوك كما يهوى ويحب ، أو يفعل دون أي حدود . وهذا لايعبر عن المعني الحقيقي لمفهوم الحرية كما يفهمه الفلاسفة التربويون وغيرهم من علماء الأخلاق . فالحرية في مفهومها الحقيقي عندهم لاتدور في فراغ وإنما في إطار إجتماعي . وليس هناك مايسمى بالحرية المطلقة وإنما تستمد الحرية قيمتها ومعناها من طبيعة العلاقات الاجتماعية والنظامية التي تربط بين الأفراد . ومن هنا ترتبط الحرية بالنظام . فلا حرية بدون نظام . والحرية تعني النظام علي عكس ما يفهمه منها البعض . وتعني أيضا القواعد . فلاعب الكرة في الملعب علي سبيل المثال ليس حراً في أن يضرب الكرة كما يشاء وإنما في إطار قواعد اللعبة وأصولها . فحريته إذن مرتبطة بالقواعد . وعلامات المرور ليست قيداً على حرية قائد السيارة وإنما هي من تمام حريته حتى يمارسها كما ينبغي . وهناك نقطة أخرى هي أن حرية الفرد تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين . فليس المريض بداء معد يهدد الآخرين حراً في الاختلاط بهم قبل أن يعالج نفسه . وليس الفرد حراً في يرفع صوت الراديو أو التلفزيون إلى الدرجة التي تزعج جيرانه . وليس الإنسان حراً في أن يرتدي الملابس التي لاتتفق مع قيم المجتمع أو التي تغضب الآخرين . ولذلك قيل في المثل « كل ما يعجبك والبس مايعجب الناس » ، لأن الأكل يتعلق بذوق الإنسان ولايؤثر على الآخرين أما اللبس فإن له جانبا اجتماعيا يؤثر على الآخرين . فحرية الفرد إذن ترتبط بحرية الآخرين ويجب أن تكون هناك حدود فاصلة بينها .

وهناك نقطة ثالثة تتعلق بحرية الفرد والقيود التي تحدها . فالفقر مثلا يعتبر قيداً على حرية الإنسان لأنه لايستطيع تحقيق مايريد . وكذلك الجهل قيد علي حريته لما يفرضه من عوائق أمامه . وكذلك المرض لما يفرضه علي الإنسان

من عجز وقصور .

فالفقر والجهل والمرض تفرض قيوداً على حرية الإنسان ولذلك تعتبر أعداء الإنسان الثلاثة . ومن هنا نستطيع أن ندرك أن أي برنامج سياسي أو إجتماعي لخلق مجتمع يتمتع بالحرية يجب أن يضع في اعتباره برنامجا شاملا للقضاء على هذه الأعداء الثلاثة أولا . بل إن مفهوم الحرية بمعناه السياسي يفتقد معناه الحقيقي مالم يتم القضاء على هذه الأعداء .

إن العرض السابق لمفهوم الحرية والنظام ضروري للمعلم حتى ينمي مفهومها الحقيقي في أذهان التلاميذ . وإذا ما أحسن التلاميذ فهمهم لذلك فإنهم يقومون بتعديل سلوكهم تبعا للنظام . وعلى المعلم أن يذكرهم بذلك عندما يخرج أحد التلاميذ عن قواعد الحرية والنظام . فالتلميذ ليس حراً في أن يخرج على نظام الفصل وليس حرا في التشويش على الآخرين وليس حراً في الإساءة إليهم . ويجب أن يدرك التلميذ المخل بنظام الفصل أن ذلك يؤثر سلبيا على مصلحة الآخرين فضلا عن مصلحته هو .

وهناك نقطة أخرى لتوضيح معنى الحرية في علاقتها بالقدرة . فالإنسان كما أشرنا قد يكون حرا في عمل الشيء لكنه لايستطيع ولايقدر عليه . وقد يكون قادراً على عمل الشيء لكنه ليس حراً في عمله . فالانسان على سبيل المثال قادر على أن يقتل ويسرق ويكذب لكنه ليس حراً في عمل ذلك لأن القانون والنظام والأخلاق تمنعه . وهذا يؤكد أيضا ماأشرنا إليه من ارتباط الحرية بالنظام. وللنظام كما أشرنا قواعد يجب أن تتبع بعد الاتفاق عليها . وهكذا نصل في ختام حديثنا عن هذه النقطة إلى ثلاثية الحرية والنظام والقواعد . وهي ثلاثية ترتبط فيما بينها ارتباطا وثيقا ولاينفصل أحدها عن الآخر .

**قواعد النظام :**

أشرنا للتو إلى أن قواعد النظام تمثل جانبا من ثلاثية النظام . وقد قام كثير من الباحثين بدراسة قواعد النظام في الفصل . منهم بصفة خاصة « هارجريفز » Hargreaves « وهستور » Hestor « وميلور » Mellor (ص٢٨١ ) . وقد قاموا بتصنيف هذه القواعد في خمسة مجموعات للنظام هي :

١ - نظام الكلام : وتتعلق قواعد هذا النظام بكلام التلاميذ في الفصل ومايتصل به من إجابات وتفاعلات وضحك وضجيج .

٢ - نظام التحرك : وتتعلق قواعد هذا النظام بالوقوف والجلوس ودخول الفصل والخروج منه والحركة أو التحرك فيه .

٣ - نظام الوقت : وتتعلق قواعد هذا النظام بالتأخر عن الحضور وإضاعة الوقت وطول أو قصر مدة إنجاز العمل الذي يكلف به التلميذ .

٤ - نظام العلاقة بين المعلم والتلاميذ : وهو يتعلق بالقواعد التي تحكم هذه العلاقة والطرق التي يتوقع من التلاميذ أن يعاملوا بها المعلم . ومن أهم الصفات التي تتصل بهذه العلاقة التحلي بالخلق الحسن والأدب والطاعة والمجاملة العادية .

٥ - نظام العلاقة بين التلاميذ بعضهم بعضا : ويتعلق هذا النظام بالقواعد التي تحكم تعامل التلاميذ مع بعضهم ، أو فيما بينهم ، وما يتصل بذلك من تدخل بعضهم في شئون البعض الآخر والشجار وطول اللسان والتنكيت والتبكيت علي الآخرين .

ومن الأفضل للمعلم أن يوضح قواعد النظام في الفصل للتلاميذ . ففي أول لقاء له معهم يبدأ بتقديم نفسه أولا ثم يوضح برنامج وخطة الدراسة . يلي ذلك بالطبع البدء في الدرس . ويجب ألا يبدأ بالكلام عن قواعد النظام في الفصل بطريقة مفروضة مقحمة وغير طبيعية . وإنما عليه أن ينتهز فرصة حدوث أية مخالفة لنظام الفصل ليبدأ الكلام عن هذه القواعد . وليبدأ بالقول للتلاميذ مثلا: إنني أنتهز هذه الفرصه لأتوقف قليلا لأوضح لكم قواعد النظام في الفصل وهي :

- إستمع إلى شرح المعلم جيدا حتى لايفوتك شئ .
- امتنع عن الكلام ولاتحدث أي صوت مخل أثناء حديث المعلم .
- لاتقاطع المعلم أو أي تلميذ آخر أثناء حديثه .
- إرفع يدك للاستئذان عند طلب الكلام أو السؤال عن شيء .

- لاتترك مقعدك أو مكان جلوسك إلا بعد الاستئذان والسماح لك .
- لاتتدخل في أمور زميلك ولاتلمس ممتلكاته ولا تعتد عليها .
- عامل زملاءك باحترام وبمثل ما تحب أن يعاملوك به .

ويتفق المربون المحدثون علي أن القواعد التي تحكم سلوك التلاميذ في الفصل يجب أن تتم بالاتفاق والتعاون بين المعلم والتلاميذ . ومن المهم اتباع هذه القواعد والالتزام بها متى تم الاتفاق عليها . ويجب أن يكون التلاميذ علي علم بالنتائج الإيجابية والسلبية أو المرغوبة وغير المرغوبة لتصرفاتهم وسلوكهم . وتعتبر الاجتماعات بين المعلم والتلاميذ وكذلك اللقاءات الفردية بين المعلم والتلميذ من الوسائل الهامة التي تساعد المعلم على توجيه التلاميذ إلى تحكيم عقولهم في تصرفاتهم وسلوكهم في حجرة الدراسة . ويقدم لنا « جلاسر » . وهو المعروف بكتابه الشهير " مدارس بلا فشل " الذي قام مؤلف هذا الكتاب بترجمته - ثلاثة أنواع من الاجتماعيات الروتينيه التي يعقدها المعلم مع تلاميذه وهي : اجتماعات خاصة بمناقشة السلوك الاجتماعي للتلاميذ في الفصل ، وإجتماعات خاصة بمناقشة تقدم التلاميذ في الدراسة وما يتعلق بها ، واجتماعات مفتوحة يناقش فيها الموضوعات الهامة التي يثيرها التلاميذ . ويتم في هذه الاجتماعات التوصل إلى حلول للمشكلات الفعليه السلوكيه والتعليميه للتلاميذ .. كما أن اللقاءات الفردية بين المعلم والتلميذ تساعد المعلم علي توجيه تلميذ معين في مشكله سلوكيه معينه ، واقناعه بالعدول عنها ، والالتزام بالانضباط وتركيز انتباهه على التعليم ومتابعة المعلم في الفصل .

**النظام والسلطة والطاعة :**

ترتبط هذه الثلاثية فيما بينها ارتباطا عضويا وثيقا فهناك أولا علاقة وثيقة بين النظام والسلطة . فالنظام يتحقق عن طريق فرض الأمر باستخدام السلطة . فالنظام إذن يقوم على السلطة ويعتمد عليها . ولا نظام بدون سلطة . والسلطة أنواع : منها سلطة العرف والعادات والتقاليد ، وسلطة القانون ، وسلطة المعرفة . والمعرفة بدورها أنواع : فمنها المعرفة اللّدنّيّة التي تتمثل في التعاليم الدينية ومنها المعرفة العلمية التجريبية والحسية والعقلية . والسلطة قد تكون

مخولة بالقانون وهي السلطة المشروعة ، أو تمارس بالنفوذ كما في الشخصية القوية أو الكاريزماتية وتعرف بالسلطة الشخصية * . وكل المعلمين يمارسون سلطة رسمية مشروعة مخولة لهم بحكم القانون ، وسلطة يمارسونها بحكم إعدادهم المهني . وبعض المعلمين تكون له بالإضافة إلى ذلك سلطة شخصية بحكم قوة شخصية أوكاريزميته .

وهناك من ناحية أخري ارتباط وثيق بين مفهوم الطاعة وكل من مفهوم السلطة والنظام . فالطاعة شرط لقيام النظام وممارسة السلطة وبدونها ينهار النظام وتنهار السلطة . فالطاعة تعني الانصياغ للسلطة واحترام النظام . ويعتمد العلاقة بين المعلم والتلاميذ على ثلاثية العلاقة بين السلطة والنظام والطاعة . ومعظم إن لم يكن كل المشكلات التي تحدث في الفصل تكون نتيجة الخلل في أحد جوانب هذه العلاقة الثلاثية . فعنما يتحدى أحد التلاميذ سلطة المعلم فهذا يعني انهيار النظام وانهيار الطاعة . ويحاول المعلم من جانبه استخدام السلطة المخولة له لإعادة الأمور إلى مجاريها بإعادة بناء النظام بايقاف التلميذ عند حده وإرغامه على طاعته والانصياع لقيادته . ولذلك تحتل طاعة التلميذ مكانة كبيرة عند كثير من المعلمين باعتبارها من أهم متطلبات النظام في الفصل . ويجب أن يعلم الآباء أبنائهم أن ديننا الإسلامي الحنيف يحثنا على طاعة الله ورسوله وأولى الأمر . والمعلمون من أولى الأمر وتلبية طاعتهم مثل الأباء .

وبعض الباحثين يرى أن الحرية والنظام مفهومان متعارضان( Stenhouse:p.178) وهي وجهة نظر لايوافق عليها مربون آخرون ومنهم كاتب هذه السطور . لأن الحرية كما شرحنا لاتحدث في فراغ وإنما في إطار نظام معين . والحرية الحقيقية هي التي تستمد وجودها من النظام . وهذا مايميزها عن الفوضى . وقد سبق أن فصلنا الكلام عن ذلك .

وينبغي أن نميز أيضا بين كون الإنسان حرا في أن يفعل شيئا ما وبين

---

* لتفصيل الكلام عن هذا الموضوع ارجع إلى كتاب لنفس المؤلف بعنوان : الإدارة التعليمية أصولها وتطبيقاتها . عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٨ .

كونه قادرا علي عمل هذا الشئ . ومع أن بعض الناس يستخدمون التعبيرين للدلالة على شئ واحد إلا أن هناك فرقا واضحا . فالإنسان قد يكون حرا في عمل الشئ ولكنه ليس قادرا عليه كما أشرنا . فأنت قد تكون حرا في شراء سيارة أو منزل أو ملابس لكنك قد تكون غير قادر على دفع ثمنها . والأمي أو الجاهل حر في أن يقرأ الجريدة لكنه غير قادر على ذلك ، وكذلك المريض حر في أن يمشي أو يسير ولكن المرض أقعده فأصبح غير قادر . وهذا يؤكد ما سبب أن أشرنا إليه من أن الفقر والجهل والمرض قيود على حرية الإنسان .

**مبررات استخدام المعلم للسلطة :**

هناك بعض الحجج التي تبرر استخدام المعلم للسلطة لضبط سلوك التلاميذ ومن هذه المبررات ما يأتي :

١ - أن التلاميذ أنفسهم يفضلون قيام المعلم بوضع حدود صارمة لسلوكهم حتى يعرفوا حدودهم . وهناك ما يؤيد ذلك من نتائج علم النفس . فالأطفال يحتاجون إلى مجموعة من القواعد النظامية التي يستطيعون من خلالها التعبير عن استقلاليتهم .

٢ - أن السلطة والمسئولية وجهان لعملة واحدة . فلا سلطة بدون مسئولية ولامسئولية بدون سلطة تسندها . والمعلمون مسئولون عن تربية الأجيال وتعليمهم وهي مسئولية كبيرة ضخمة . وضخامة المسئولية يبرر ضخامة السلطة التي تصاحبها . ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا كانت سلطة المعلمين على التلاميذ لاتقل عن سلطة الآباء على أبنائهم .

٣ - أن المعلمين مطالبون أمام المجتمع بأن يغرسوا في نفوس تلاميذهم المبادئ السامية والأخلاق الحميدة والآداب العامة . وإذا كان المعلمون في الدول الغربية بصفة خاصة يجدون صعوبة في القيام بهذا الدور لتعدد مصادر القيم بتعدد الانتماءات الدينية والعلمانية في المجتمع ، فإن المعلمين في البلاد العربية لايجدون صعوبة في القيام بهذا الدور لتجانس مصادر القيم واعتماد هذه المصادر أساسا على القيم والآداب الإسلامية بالنسبة للمسلمين الذين يمثلون غالبية المجتمع . ويصدق الوضع على الأقليات المسيحية

وغيرها أيضا.

٤ - أن بعض التلاميذ لايفهمون أي لغة أخرى سوى لغة القوة . وهذا ينطبق على التلاميذ الذين يصعب ضبط سلوكهم ، والذين يتميزون باستخدام العنف في سلوكهم مع المعلم والتلاميذ الآخرين . ومثل هؤلاء التلاميذ قد لا يجدي معهم استخدام القوة وقد يستخدمون طرقا ذكية للإخلال بالنظام في الفصل لاسيما مع المعلم الضعيف .

وبعض المعلمين في تعاملهم مع مثل هؤلاء التلاميذ يصعدون من أساليب ضغطهم عليهم لحملهم على الانصياع لهم . وفي ذلك خطورة كبيرة . لأن هؤلاء التلاميذ قد يحدوهم الزهو بالقيام بدور بطولي أمام أعين أقرانهم بتحديهم لسلطان المعلم ومواجهته . وهذا ما أسفرت عنه نتائج البحوث التي أجريت على التلاميذ المنحرفين.انظر علي سبيل المثال ( Woods : 1977 ) .

٥ - أن نتائج البحوث تشير إلى أن التلاميذ يحبون أن يعاملوا بطريقة حازمة لكن عادلة ومنصفة . ومن المعايير الأساسية الهامة التي يحكم بها التلاميذ على جودة المعلم معيار العدل والإنصاف . وهذا يعني أن التلاميذ يكونون أكثر تقبلا لسلطة المعلم عندما يطبق قواعد النظام في الفصل تطبيقا عادلا بلا استثناء أو محاباة .

**التلميذ واستراتيجية التطابق :**

إن حاجة التلاميذ إلى التطابق مع أوامر المعلم وتنفيذ تعليماته يمكن أن ينظر إليها لا على أنها شئ مرغوب في حد ذاته ، وإنما كوسيلة لمساعدته على التوصل إلى فهم استراتيجيتهم الخاصة في مخالفتها أو عدم تنفيذها بدقة . من الأمثلة التي توضح ذلك أن معلمة طلبت من تلميذاتها كتابة صفحة كاملة وإزاء إصرار المعلمة على ملء الصفحة كلها عمدت إحدى التلميذات إلى تكبير خطها بحيث ملأت الصفحة كلها بكلمات قليلة هي التي كانت في مقدورها . وهذه هي استراتيجية « تعلم العاجز » التي وجدت فيها الطفلة مخرجا لمشكلتها .